القصص

من أساطير الاغريق

بلوتو يخطف پرسفونيه (١)

أسطورة الربيع

للأستاذ دريني خشبة

كانت ديميتير الطيبة (٢) ، ربة الخيرات ومغدقة البركات ؛ الرحيمة البارة ؛ مُلوِّنةُ الزهر ، ومُنضجة الثمر ؛ واهبة الحقول خضرتها والبساتين نضرتها . . . كانت ديميتير الطيبة تسكن في قصرٍ منيف يشرف على سهل إنا Enna ، أروع سهول جزيرة صقلية جمالاً وأعذبها ماء وأطيبها هواءً ، وكانت ، حين يتنفس الصبح ، تلبس تاجها اليانع الذي ضفرته من سنابل القمح ، وتتناول باقة من زهرات الخشخاش ريانة ، وتقبض بيمينها على صولجانها العتيد ، المرصع بالزبرجد ، ثم تستوي في عربتها المطهمة فتنطلق بها الصافنات الجياد تجوب أنحاء الأرض ، وتمر بكل مزرعة ، وتقف عند كل كرمة ؛ تهب القمح من نفحاتها فيربو ، والثمر من بركاتها فيزكو ، والينع من أنفاسها فيطيب . ثم تعود إذ يجنُّ الليل ، فتهرع اليها ابنتها الصغيرة پرسفونيه فرحة متهللة ، لافة ذراعيها الجميلتين حول ساقِ أمها ، كأنما تبثها ما في قلبها الصغير من لوعةٍ وغليل !

وكانت الفتاة — پرسفونيه — تقضي سحابة النهار ، إلى أن تؤوب أمها ، في سربٍ من أترابها ، بناتِ الغابِ الحسان ؛ فيظَلن يقطفن الزهر ، ويجمعن الرياحين ، ثم تنشب بينهن معركة حامية من معارك الطفولة ، وملحمةٌ صاخبةٌ من ملاحم العبث ؛ فيتراشقن بالورد ، ويترامين بالزنبق الغض ، ويتضاربن بأفواف السوسن ... وهن فيما بين هذا وذاك يقرقعن بالضحك ، ويتبادلن النكات ، ويتغنين الأغاريد ؛ فتستجيب الغابة لهن ، وتترقرق الغدران من تحتهن ، وتهدل الأطيار من فوقهن ، وتمتلىء الدنيا حولهن نشوة وحبوراً

وكأن پلوتو : إلٰه الموتى ، ورب الدار الآخرة ؛ قد ملَّ هذا السكون المخيم في مملكته تحت الأرض : هيدز ، وسئم هذه الأشباح التي تطيف به هنا وهناك في الظلمات المحيطة به ، وأرواح الموتى تئن وتتوجع في كل مكان من ملكه القابض الحزين ؛ فأسرج عربته الضخمة ، وألهب جيادها بسياطه القاسية ، فانطلقت تعدو به إلى . . . الدار الأولى . . . هذه الحياة الدنيا ! !

هيدز پلوتو

(١ — ٢) پرسفونيه اليونانية هي پروزرپين الرومانية ، ربة الربيع . وهي بنت ديميتير ربة القمح والخصب ، ويسميها الرومان سيريز Cérès . وكان هؤلاء يقدسونها ويقدمون لها القرابين من الخنازير خاصة في عيدها العظيم الذي كانوا يسمونه سيريالیا Cerealia . وكانت لوائح مجلس الشيوخ الروماني تحفظ عادة في معبد سيريز . وقد اشتقوا من اسمها اللفظة Cereals للحبوب

خرج بلوتو يروّح عن نفسه ، ويَنْشَقُ هذا النسيم الحلو الذى يغمر ملكوت أخيه زيوس ، ويروّى روحه الظامئة بالتفرج على عرائس الماء وبنات الغاب ، إذْ أَبَيْن جميعاً أن يشاركنه ملكه الرحيب ، ورفضنَ الزوج منه ، برغم ماأغراهن به من اللآلىء واليواقيت

وفيما هو ينهب الأرض بعربته ، إذا به يسمع فى غَيْضَةٍ قريبة ، ضحكات مُرنَّة ، وأصواتاً موسيقية مُتْقنة ، وأحاديث كأنها دنانير من ذهب فى كف صَيْرَفيٍّ حَذِق ! فساقه الفضول إلى استكشاف أولئك الغيد اللائى يتضاحكن هكذا ، كأنما يترنَّمْنَ بالشدو ، ويُرجِّعْنَ بالغناء ! فَفَرَق العَسَاليج التى كانت تحجبهن ، فرأى البدور البيض يتلاعَبْن على الحشيش الأخضر ، كأنهن نغمات حلوة تنطلق من أوتار أرفيوس !

وجُن جنون بلوتو ! . . . . وأقسم ليخطفن هذه الفتاة الخِدِلَّجة المشوقة ، التى تُدِل على الجميع كأنها ڤينوس فى دولة الحب ، أو ديانا تخطر بين أماليد !

« إلام أظل فى هذا الديجور الحالك وحدى ؟ ! وحتام أقاسى منفاى السحيق من غير صديق أو رفيق ؟ ! وما قيمة ملكى الشاسع ، وأنهارى الفائرة بالحمم ، مادمت لا سمير لى ولامؤنس ، إلا زبانيتى وكلابى ؟ والإشارون[1] المسْخ الكئيب ؟

لقد مللت ! ولا بدلى من هذه الكاعب الحسناء ، والغادة الهيفاء !

إن لها لَفاً رقيقاً . . . . وإنها لتثنى كالغصن ، وتخطو كالقطاة !

يا للشديين !

مالهما بارزتين هكذا ؟ أتطلبان حضناً قوياً لحضنى ؟ أم يملؤهما لبن الآلهة ، ورحيق السموات ؟ !

يا للفخذين الملتفَّتين الممتلئتين ! !

إنهما مترعتان باللذة ، فياضتان بالاغراء والترغيب ! مالهما تنفجان شهوةً هكذا ؟ !

وهاتان حَمَاتا[2] الساقين ! ويلى عليهما وويلى منهما ! !

إنهما حماتان خبيثتان كأبرع ماتنحت يدا فنان ! إنهما تمتلئان لذاذةً ، وتطلقان رُقى السحر فى قلوب الناظرين !

كُوِّرتا تكويراً خفيفاً من فوق ، وانعقد دهاء الفتنة عند التفاف العضل ، فأفعمهما رغبةً واشتهاءً ! !

وقدماها ! !

يا للكعبين المستديرين ، والجنة النائمة فيهما ! !

والذراعين الناعمتين !

والظهر العاجى الناصع !

والشعر الذهبى الذى يداعبه النسيم كأنه خُصْلةٌ من ظلال الخلد !

ويلى !

أنا لا أرى إلا هذه الأعضاء السابية ، وأغفل عن هذه الابتسامة التى ترِفُّ حول الفم ! !

إنها أجمل من زهرة التفاح فى أوائل شهر مايو ، وأرق من بتلات أزهار اللوز فى شهر ابريل ! !

تَلَمَّظْ بافمى فانك ظمىءٌ إلى قبلةٍ تطبعها على هاتين الشفتين الأخوانيتين !

وسمع إحدى الفتيات تناديها : « پرسفونيه ! أنظرى ! هاكِ بنفسجةً حلوة ! »

فتحدث إلى نفسه :

« پرسفونيه !

هذه عروس الربيع إذن ! ابنة ديميتير من أخى زيوس !

لقد كبرت وترعرعت ، ونهدت ؛ وطابت فى جسمها البض ثمرة الحياة ! !

اغفر لى يا أبى ساترن[1] ! سامحينى يا رها ![2]

سأخطفها ! سأجلسها بجانبى على عرش هيدز ! ستصبح مليكة دار الموتى ! ستنقشع ظلمات ملكوتى بوجهها المشرق الجميل

لن أشعر بشقوة ، ولن أحسَّ خباءً فى ملكى ! ! إنها

(١) شارون حارس بوابة الجحيم وتوتى أنهارها

(٢) حماة الساق هى مايطلق العامة عليه بطن الرجل

(١) تزاوجت السماء (أورانوس) والأرض (جى) فأعقبت آلهة كثيرة منها ساترن الذى أعقب بدوره الآلهة زيوس رب الأولمب وبلوتو رب الموتى وهستيا رب النار المقدسة وديميتير وجيرا ... الخ ومن أشهر أبنائه پوسيدون رب البحار

(٢) رها زوجة ساترن وأخته

ستكون جوهرة التاج ، وفتنة العرش ، وستسجد الأرواح تحت قدميها المعبودتين ! !

سأترك لها أن تنفر وتثيب ، وسأدع لها مقاليد السُّفْل تصنع فيه ما تشاء ! »

* * *

ثم ألهب جياده فانطلقت نحو الفتيات ، ولشد ما تَفَزَّعن إذ لمحن وجهه الأغبر ، يتدلى عليه شعره الأشعث ؛ والظلال المظلمة تتخايل فوق جسمه الجبار كالسمادير !

ولقد كان كلبه سير بيروس ، ذو الرؤوس الثلاثة ، يلقى الرعب فى القلوب !

اختطاف پلوتو لپرسفونيه

وفر الحسان مذعورات . . . . إلا پرسفونيه ، فقد قبض پلوتو على ذراعها الرَّخْصة ، وجذبها اليه فى العربة ، وذهب يسابق الريح ويلاحق البرق ، حتى اعترضه ماء نافورة أخذ عليه سبيله . وسرعان ما فار الماء كالتنور ، وصار يغلى كالحميم الآن ، حتى خشى پلوتو الجبار أن يعبره ، وأوجس ، إن هو انثنى يبحث عن طريق آخر ، أن يضيع الوقت ، وتفلت الفرصة ، وتروح ديميتير تفتقد ابنتها حتى تستنقذها من يديه . فتناول صولجانه الهائل ، وضرب به الأرض فرجفت وزُلزلت ، وانشقت عن أخدودٍ كبير بعيد الغور . . .

وكانت پرسفونيه قد أُنيقت من هلعها ، فلما رأت النافورة تغلى وتصطخب ، أدركت أن إحدى عرائس الماء قد عرفت من أمرها كل شىء ، وأنها قد تستطيع أن تؤدى لها خدمة فى ذلك المأزق الحرج ، فحلت (پرسفونيه) زُنَّارها الحريرىَّ الأبيض ، وألقت به عند ضفاف النافورة عسى أن يصل يوماً الى أمها عن طريق هذه العروس ، فتعلم أين هى ، وماذا تم من أمرها

وانطلق پلوتو فى ظلام الأخدود حتى وصل منه الى مملكته . . هيدز ! فاستوى على عرشه مثلوج الصدر خفاق الفؤاد !

ثم طفق يترضى پرسفونيه بشتى الوسائل ، وهى ما تزداد إلا شِماساً ونفوراً . . . طاف بها أرجاء مملكته الشاسعة ، وأراها شطئان ستيكس وأشيرون وليثْ ، وسائر أنهار الجحيم ؛ ثم خاض بها وادى الأفاعى والعقارب ، ومدينة الزنابير واليعاسيب ، والدرك الأسفل من النار حيث يأوى المنافقون والكذابون ، وحديقة الخونة واللصوص ذات الأشجار من لظى ولهب . . . ولم يفقه المُنَفَّل أنه كان يضاعف فزعها أضعافاً مضاعفة كلما مر بها على منظر جديد من ملكه البغيض ! !

* * *

وعادت ديميتير فى المساء ، ولكن پرسفونيه لم تهرع لقائها كعادتها ؛ فحسبتها نائمة . . . بَيْد أنها لم تجدها فى مخدعها ، فافتقدتها فى جميع الغرفات ، ولكن عبثاً حاولت أن تقف لها على أثر ! فاضطربت نفسها بالوساوس ، وخرجت تبحث عنها فى الحديقة ، فلم تجدها كذلك !

ربعت الأم وارتعدت فرائصها ، وانطلقت تعدو وهى تصيح كالمجنونة :

« پرسفونيه ! پرسفونيه ! أين أنت يا پرسفونيه ! » ولكن لسان الصدى ـ إيخو ـ هو وحده الذى كان يردد نداءها . . .

ووصلت إلى ابن أخيها هيفيستيوس [1] إله النار فأعارها شعلة عظيمة تنير لها ظلمات العالم ، ودياجير الليل ، عسى أن تهتدى إلى پرسفونيه

جاست خلال الغابات ، واخترقت الأودية ، وفتشت الشطوط ، ونفذت إلى أعماق الكهوف ، وجالت فى مهاوى الجبال ، ورقت إلى شعاف الآكام . . . وبحثت عنها فى جميع الآفاق . . . فلم تعثر بها ! !

استعانت بالآلهة ، واستنجدت بعرائس البحار ، ولكن جهودها ضاعت عبثاً . . .

وجلست ديميتير كاسفة البال ملتاعة القلب ، تملو جبينها

(١) هوفلكان الرومانى

عبوسةٌ قطريرة ، وتنوء بروحها آلام وأشجان . . . وأضربت عن الطعام ، وآلت لا ينضر حقل ولا يذرُّ نبات ، ولا تثمر شجرة ، ما دامت ابنتها نائية عنها . ! فجفت السهول ، ويبست سوق الحنطة قبل أن تؤتى أكلها ، وخرفت البساتين دون الثمر ، فعجف الناس ، وضمرت بهيمة الأرض ، ونشر الجوع ألوية الخراب فى العالمين ! !

وانصرف الناس يصلون لزيوس ، ويضرعون لديميتير ، ولكن الحزن صرفها عنهم ، فلم تسمع لصلاتهم ولم تلبِّ نداءهم . . .

* * *

وفيما كانت تجوب القفار ، وتطوى المهامه البيد ، إذا بها تصل إلى النافورة التى ألقت عندها برسفونيه بزنارها

وإنها لتجلس عند حفافيها تفكر فى أغن البنات ، إذا بعروس الماء أريثوذا ؛ التى لمحت پلوتو يخطف برسفونيه ، والتى أهاجت النافورة لتقطع عليه سبيله ، تظهر من الماء فجأة لترى من هذه الجالسة عند دارتها تئن وتتوجع ؛ وتعلم أنها الربة ديميتير وأم الفتاة ، فتتحدث إليها قائلة : « ديميتير ! عزيز علينا أن تجزعى هكذا ؟ ! طيبى نفساً وقرى عينا ، فان پلوتو رب هيدز هو الذى خطف برسفونيه ! وهاك زنارها شاهدى على ذلك ! ولقد تبعتها إلى الدار الآخرة أحسب أنى أستطيع أن أؤدى لها يدا أو معونة ولكن الإلـه القاسى أغرى بى زبانيته ، فانطلقت مذعورة من اللعين ألفيوس . . . . . وعليك أن تخلصى الفتاة فانها لا تذوق طعاماً ، ويكاد الحزن يصعقها برغم أنها أصبحت مليكة دار الفناء . . . . ! »

ديميتير تعلم نبأ بنتها من عروس الماء

وتناولت ديميتير زنار ابنتها فعرفته ، ثم طفقت تلقيه على عينيها وصدرها . . . ساكبةً دموعها الغوالى !

وقصدت من فورها إلى زيوس لحدثته بما قالت عروس الماء أريثوذا ، وأقسمت لديه ، إن لم يأمر أخاه برد برسيفونيه ، لتهلكن عباده جوعاً ، ولتجعلن وجه الأرض فدفداً يبابا . . . لا تسمن بزرع ، ولا تروى بضرع ! !

فتأثر زيوس من قولها ، وابتسم ابتسامة حزينة ، ثم قال : « لا بأس من عودة برسفونيه إذن . . . . ولكن ! على شريطة ألا تكون قد ذاقت طعاماً فى هيدز ، مملكة أخى ! فانها ، إن كانت قد فعلت ، لا تصلح للحياة فى هذا الدار الأولى ! »

ولسوء الحظ ، كانت برسفونيه ، بعد امتناعها عن ذَوْق شىء من طعام هيدز طوال هذه الأشهر ، قد أكلت فى نفس ذلك اليوم الذى وعد فيه زيوس بعودتها إلى الدنيا ست حبات من الرمان فحسب ! فلما علم زيوس بذلك ، عَدَّل حكمه ، فقضى أن تلبث برسفونيه فى هيدز عند شقيقه پلوتو ستَّة أشهر من كل سنة ، أى شهرا بكل حبة مما أكلت ! ! وتعود إلى أمها فتلبث معها ستةً أخرى ؛ فيعود بعودها الماء إلى الزروع ، والازدهار إلى الحدائق ، والشَّبع والثروة إلى الناس ، ويكون عودها ربيع الحياة وبهجة الأرض

عاشت برسفونيه ربة الربيع ! ولا طال عن الناس مغيبها فى هيدز . . ! عند الشرير پلوتو . . . . الذى حرم الحياة من أن تكون ربيعاً كلها ! !

دريني خشبة

الحرب واقعة

الحرب واقعة ولا بد من الحرب عاجلاً أو آجلاً فأوربا فوق بركان ، يعلم الله فى أى وقت نسمع الانفجار والنفير العام

أما نحن العرب فالحرب داءة بيننا ونحن أبناء الحرب وخلقنا للحرب نحمها فى سبيل العلم والفضيلة ونحارب الجهل فى أقطارنا الشرقية ومدافعنا مطابعنا وسيوفنا أقلامنا وحصوننا مكاتبنا حتى يعلم الغرب أننا نعيد مجد أسلافنا

صاحب مكتبة العرب
بالفجالة بمصر